مارك دانّر

مارك دانّر أستاذ الصحافة في جامعة كاليفورنيا بيركلي، وكاتب في مجلة نيويوركر، وله عدة مؤلفات، أبرزها: مذبحة إلْ موزوت: التشابه مع الحرب الباردة (فينتيج، 1994) وكتاب ما وراء الجبال: تراث دوفالير (بنثيون، 1993). وأحدث كتبه الطريق إلى عدم الشرعية: ما الذي حدث فعلاً في إعادة إحصاء الأصوات في فلوريدا عام 2000 (ميلفيل هاوس، 2004). وله كثير من المقالات حول الحرب في العراق نشرت في نيويورك ريفيو أوف بوكس.

جيرمي إيرب: في مقابلة أجرتها معكم محطة بي بي أس قبل بدء الحرب بشهر ذكرت أنك غير متأكد من هو الطرف الذي فاز في صراع الأفكار والتوجهات في البيت الأبيض. كانت المسألة غير محسومة بعد: هل ستكون الغلبة للواقعيين من جماعة بوش الأب مثل كولن باول، أم أنها ستكون لرمسفيلد وولفوويتس والمتشددين؟ وأنا أتساءل إذا كنت لاحظت حدوث تغيير أو تطور بعد تسعة أشهر من بداية الحرب؟

لقد تعودنا عند الحديث عن الحكومة أن نتحدث عنها بوصفها كتلة واحدة؛ فنقول بأن حكومة بوش تفعل كذا، أو قامت بكذا. وبالطبع فإن الحكومة تضم عدداً كبيراً من الأشخاص الذين يتنافسون فيما بينهم وبخاصة حول المواقف المثيرة للجدل، والتي من بينها الحرب على العراق. لذلك فإن الصراع حول أي السياسات الواجب اتباعها لن يتوقف.

والحرب بذاتها كانت نصراً لطليعة المحافظين الجدد في الحكومة والذين تتركز قياداتهم في الرتب المدنية والقيادة العليا في البنتاغون. إلا أن الصراع ما

obeikandi.com

زال مستمراً. ويختلف تحديد الحرب باختلاف الأشخاص ومصالح الجماعات التي تدفع باتجاهها من طرق مختلفة. فزمرة المحافظين الجدد يرون أن الحرب ضرورية لبناء الديمقراطية في الشرق الأوسط، وأنها رد فعل ضروري على تهديد 11 سبتمبر والإرهاب وذلك بإعادة تطوير المنطقة. وعلى ذلك فهدفهم أيديولوجي. ولكن هناك أيضاً أشخاص كثر ممن ركب موجة الحرب لأسباب واقعية تقليدية. وربما كان رمسفيلد وتشيني من هؤلاء.

يصعب على المرء أن يحدد هؤلاء الأشخاص تحديداً دقيقاً، إلا أن الأسباب الواقعية التقليدية كانت تقضي بأن الخليج العربي ضروري للاقتصاد الأمريكي والسياسة الخارجية الأمريكية. وهو مهم بالنسبة للمصالح القومية الأمريكية، وهذه المنطقة لا يمكن تأمينها إلا إذا أزيل صدام حسين من فم الخليج العربي. وربما اشترك هؤلاء ولدرجة ما مع الفئة الأخرى بهدف الديمقراطية إلا أنه ليس من الأهداف المهمة بالنسبة لهم. ويمكن القول بأن الحرب والنتائج الأولية للمعارك التي وقعت في مارس وأبريل قد زعزعت موقف المؤيدين المتحمسين للحرب لأهداف أيديولوجية، وأعطت مزيداً من القوة للطرف الذي كان يشكك بالأهداف الأيديولوجية العريضة ولفكرة أن بالإمكان تحويل الشرق الأوسط، وتحويل العراق وبتكلفة زهيدة، وأن العملية لا تتطلب جيشاً كثير العدد، أو احتلالاً طويل الأمد، وأن الجنود الأمريكيين سيستقبلون بالورود والحلوى. وقد تبين أن هذه الإدعاءات كلها غير صحيحة، مما يثبت ما كان يقوله الواقعيون منذ البداية: أن الحرب ستكون أمراً صعباً ومعقداً، وأنه يجب أن تكون أهدافنا متواضعة.

ويمكنني القول بعد عام من بدء الحرب أن طليعة المحافظين الجدد الذين دقوا طبول هذه الحرب هم في حالة من التراجع الآن. وهذا لا يعني بحال من الأحوال أن المعركة قد انتهت، لأن محصلة ذلك كله ستتحدد بأوجه الميول

obeikandi.com

السياسية أيضاً: الأمور التي ينجذب نحوها الشعب الأمريكي. فنحن على وشك الدخول في معركة انتخابية سوف تتطلب إعادة إحياء وبعث خطاب المحافظين الجدد حول الحرية، والديمقراطية، وتحويل الشرق الأوسط، وهي شعارات مفيدة من الناحية السياسية لأنها واضحة، ومستقاة من مبادئ عريضة، ومسبوكة بطريقة درامية، وتتوافق مع أيديولوجية شعبية أمريكية حول الدور الذي يجب أن تلعبه الولايات المتحدة في العالم: يجب أن تعمل على نشر الديمقراطية وتحطيم الدكتاتوريات. وهذا هو الشعار الذي رفعه ترومان عندما أعلن عن مذهبه. وهو مبدأ معروف في تاريخ السياسية الخارجية الأمريكية. لذلك، فإني لا أعتقد أن اللعبة قد انتهت بعد. وأعتقد أن المحافظين الجدد أصيبوا ببعض الخسائر الجسيمة إلا أنهم جميعاً ما زالوا في مواقعهم، وما زالوا على رأس مناصبهم التي كانوا يشغلونها مع بداية الحرب. وكانت بعض الأخطاء التي ارتكبوها في غاية الجسامة، ومع ذلك لم تسفر عن طرد أي منهم من وظيفته أو منصبه.

جيرمي إيرب: أنت تتحدث عن المحافظين الجدد. من هم هؤلاء الأشخاص؟ وما هي أوجه الاختلاف بينهم وبين المحافظين التقليديين، وما هي خلفيتهم؟

عندما تبدأ بالحديث عن المحافظين الجدد، أو عن المصطلح الجديد الذي بدأ يستخدم مؤخراً مع شديد الأسف "محبي النهج المحافظ"، فإنك تصل إلى تاريخ الفكر السياسي إلى ما قبل 30 إلى 40 عاماً، وفي العادة يقال عن المحافظين الجدد بأنهم ليبراليون خدعتهم الحقيقة والواقع. وكان الجيل الأول منهم مفكرين يساريين خلال الخمسينيات والستينيات، وتحول عدد منهم إلى الاتجاه المحافظ في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات كردة فعل على ما رأوا أنه غلو اليسار. فبعد أن شاهدوا اليسار الجديد أواخر السبعينيات، وهزيمة

الولايات المتحدة في فيتنام تحوّلوا إلى النهج المحافظ. ومن بينهم عدد كبير من الكتاب اليهود الذين تربطهم بإسرائيل روابط قوية. وهذا الوصف لا ينطبق على الجميع بأي حال، إلا أن بعض البارزين ومنهم إيرفنغ كريستول، وهو والد ويليام كريستول، ناشر مجلة ويكلي ستاندرد في هذه الحركة، ونورمان بودهورتز، وهو صهر إلّيت إبرامز الذي يعمل في مجلس الأمن القومي.

هذه هي نواة الجيل الأول من المحافظين الجدد. كانوا من اليساريين اليهود، التحق بعضهم بكلية ستي كينغ، وجامعة ستيت في نيويورك، وكانوا من أتباع ليون تروتسكي(*)، ومن البارزين اليساريين خلال فترة شبابهم يناضلون من أجل أمريكا أفضل. وفي أواخر الستينيات قرروا بأن التيار اليساري فقد عقله وأصبح مسعوراً؛ وأصبح معادياً لأمريكا. لذلك انتقلوا إلى المعسكر المحافظ- ويقال لهم "جدد" لأنهم لم ينشأوا محافظين، بل تحولوا إلى هذا المعسكر السياسي المقابل. وقام عدد منهم بتكوين جماعات مثل: اللجنة الخاصة بالخطر الداهم، على سبيل المثال، في أواخر السبعينيات، وكانت تروج للفكرة القائلة بأن الولايات المتحدة كانت مخطئة في تقدير الخطر السوفييتي وأنها قللت كثيراً من شأنه. وقاموا بتشكيل لجان مماثلة بهدف توجيه الانتقاد لحكومة كارتر ناعين عليها ميولها اليسارية وتساهلها مع السوفييت.

(*) ليون تروتسكي. (1879-1940): اسمه الأصلي ليف ديفيدوفيتش برونستاين ولد في بلدة يانوفكا في أوكراينا، كان أبوه مزارعاً يهودياً ناجحاً. وتلقى تعليمه الأساسي في مدرسة يهودية، ثم التحق بعدها بالمدارس الحكومية. ومن هناك أصبح من أنصار الماركسية والتحق بالحزب الديمقراطي الاشتراكي. تعرض للسجن والنفي عام 1898 بسبب نشاطاته الثورية. ولكنه عاد ليصبح أحد قادة الثورة البلشفية 1917 وتقلد عدة مناصب حكومة الاتحاد السوفييتي (1917-1924). وبعد موت فلاديمير إليتش لينين برز جوزيف ستالين كزعيم للبلاد متغلباً على خصمه اللدود تروتسكي، وتعرض تروتسكي على خلفية الصراع الأيديولوجي مع ستالين إلى الطرد من الحزب الشيوعي الحاكم والنفي خارج الاتحاد السوفييتي فقدم إلى نيويورك ثم استقر به المنفى في مدينة المكسيك عاصمة دولة المكسيك، وفيها لقي حتفه عام 1940 على يد أحد عملاء ستالين.(عن موسوعة إنكارتا بتصرف).

وعندما نعاين أشخاصاً مثل بول ولفوويتس نائب وزير الدفاع، وريتشارد بيرل من مجلس سياسة الدفاع. وكلاهما كانا على ارتباط بحكومة ريغان - على الأقل بالنسبة لولفوويتس- وحكومة بوش الأول. فنحن أمام الجيل الثاني من المحافظين الجدد. وكلاهما (ولفوويتس وبيرل) على علاقة بالسيناتور هنري جاكسون من واشنطن، وهو أيضاً من الرموز المهمة في حركة المحافظين الجدد. وكان جاكسون من الحزب الديمقراطي إلا مواقفه في قضايا الدفاع كانت يمينية.

جاءت هذه المجموعة من المفكرين والساسة من الحزب الديمقراطي. وتحول عدد كبير منهم إلى الحزب الجمهوري. والأمر المهم بشأنهم هو أنهم جلبوا معهم إلى اليمين هذا الصنف من السياسات الثورية التي بدأت في اليسار. وبإمكانك مشاهدة هذه النزعة الثورية عندما تنظر إلى فكرة جلب الديمقراطية للشرق الأوسط. هذه هي السبيل لحل المشكلة. والحل الأمثل لمشكلة الإرهاب، في نظرهم، لا يكون باحتواء المشكلة، بل بالغوص إلى أعماق جذور المشكلة وإحداث ثورة ديمقراطية في الشرق الأوسط، بدءاً من العراق. ونلاحظ أن هذا التفكير والحلول المبنية عليه ليست من النهج المحافظ التقليدي بشيء. إذ من الواضح أن المحافظين يسعون إلى المحافظة؛ وليس إلى الثورات، ومع ذلك فإننا أمام مشروع للمحافظين الجدد هو في حد ذاته مشروع ثوري في الشرق الأوسط.

وكثيراً ما نشاهد هذه الصلة اللصيقة بإسرائيل. ولعل أحد أسباب التغيير الذي طرأ في السبعينيات وأوائل الثمانينيات وتمثل بانتقال عدد كبير من مؤيدي إسرائيل إلى اليمين هو شعورهم بأن السياسة الخارجية الضعيفة للحزب الديمقراطي والتي تقوم على مهادنة الاتحاد السوفييتي هي سياسة مضرة في النهاية بإسرائيل، لأن هذه السياسة لا تحمي إسرائيل من الدول التي كانت متحالفة في ذلك الوقت مع الاتحاد السوفييتي، بما فيها سوريا والعراق.

وكما قلت من قبل، فنحن الآن بصدد طبقات متشعبة ومعقدة من تاريخ الفكر السياسي الأمريكي، تاريخ ما بعد الحرب (العالمية الثانية). ونجد في خلفية بول ولفوويتس صلة بشخص يدعى ألبيرت هوليستر وهو أحد منظري سياسات الدفاع الأمريكية ومن أصحاب النفوذ والتأثير في الدوائر الحكومية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. واشتهرت عنه نظريات مثل نظرية "دحر العدو إلى الوراء" وهي درجة أخرى في هذا النقاش. أما الاتفاق العام في الرأي بشأن السياسة الخارجية في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية فكان من صنع شخص يدعى جورج كينان، وهو مفكر سياسي كان يعمل في وزارة الخارجية، وشغل بعدها منصب سفير الولايات المتحدة في الاتحاد السوفييتي، وفي يوغوسلافيا. وقد عمل كينان على تطوير ما يسمى "سياسة الاحتواء". وفكرة الاحتواء، بشكل مبسط، هي أن الاتحاد السوفييتي موجود، ويشكل نداً قوياً للولايات المتحدة، إلا أنه قائم على عدد من التناقضات. ولا يمكن لنظامه السياسي أن يستمر إلى ما لا نهاية. ولكي تتمكن الولايات المتحدة من هزيمته في حرب باردة دون الدخول في مواجهة حامية - لأن وجود الأسلحة النووية لدى الطرفين جعل من الحرب الساخنة خياراً مستبعداً- فإنه لا بد من تطويقه، واحتوائه، ومنعه من الحصول على مزيد من الحلفاء، ومنعه من التوسع، واحتوائه أخيراً عن طريق "قوة مضادة سرية" وهو التعبير الذي استخدم حينها، ومنع الاتحاد السوفييتي من التوسع. وهذا كفيل بانهيار تلك الدولة على أركانها. هذه هي فكرة الاحتواء. وكانت تشكل سياسة الولايات المتحدة على مدى أكثر من خمسين عاماً.

شعر المؤيدون لسياسة "الدحر إلى الخلف" بأن سياسة "الاحتواء" سياسة غير أخلاقية. بمعنى أن الولايات المتحدة التي تأسست على أفكار الحرية وأن الناس خلقوا ومعهم حقوق لصيقة بهم لا يمكن فصلها عنهم، لا يعقل أن تتبنى

سياسة تقبل بوجود الاتحاد السوفييتي، هذا الكيان الشرير وغير الأخلاقي، كجزء من العالم. وأنه يتوجب على الولايات المتحدة أن تتبنى سياسة يكون جوهرها نشر الحرية والعمل على إقامتها في الدول الأخرى والشعوب الأخرى(*).

وأساس هذا الموقف هو الفكرة القائلة بوجوب دحر تقدم الاتحاد السوفييتي وتحرير الشعوب الرازحة تحت قبضة حكمه وبطشه، كدول أوروبا الشرقية. وهكذا نشاهد الصراع حول خطط السياسة الخارجية الأمريكية مع بداية الخمسينيات. والسبب وراء استعراضي لهذه التفاصيل هو لملاحظة أن هذه النوع من الفلسفة كان موجوداً ولكن تحت السطح قبل أربعين عاماً. واليوم، وفي عهد حكومة بوش الثاني انتقلت هذه الفلسفة إلى المقدمة وأصبحت تشكل السياسة الرسمية للحكومة: الحكومة الأمريكية ملتزمة بنشر الحرية حول العالم؛ وأن الوضع القائم ليس وضعاً أخلاقياً. وقدمت أحداث 11 سبتمبر الفرصة لنشر الحرية في الشرق الأوسط. وعلينا أن نواجه مثل هذا التهديد ومثل هذه الفرصة من أجل نشر المثل والمبادئ الأمريكية، ونشر الديمقراطية بين هذه الشعوب المسكينة، التي لا تحلم بها.

وتأتي أهمية النظر إلى هذه القضية من منظور تاريخي حين نعاين الحقبة التي شهدت أوج القوة الأمريكية والتي استمرت على مدى نصف قرن من الزمان. لأن هذه الفكرة تعتبر فكرة متطرفة جداً على صعيد السياسية الخارجية. وهي تتعارض مع السياسات التي انتهجها الديمقراطيون

(*) يمكن عزو هذا العداء الانتقامي الأيديولوجي الذي يكنّه المحافظون الجدد للاتحاد السوفييتي السابق إلى أن المحافظين الجدد وبحكم كونهم من الأتباع (السابقين)-كما يصفون أنفسهم- لليون تروتسكي وهو الخصم اللدود لستالين الذي نفاه خارج الاتحاد السوفييتي ولاحقه وأمر باغتياله، قد ورثوا هذا العداء من معلمهم. أما قناع "الحرية" و "الديمقراطية" الذي تغلف به هذه الأجندة لكي يسهل على الناس قبولها فهو تدليس لا يخفى على المراقب السياسي.

والجـمـهـوريـون منذ نصف قـرن من الزمـان. وعندمـا طفت إلى السطح نهـاية الأربعينيـات وأوائل الخمسينيات على يد أنصار فكرة "دحر العدو إلى الوراء" لم تلق أي تجاوب من الحكومات الأمريكية المتعاقبـة، على عكس ما شـاهدناه في سنوات حكم جورج بوش الثـاني. لذلك أجـد أن من الضروري الإشـارة إلى ذلك، فعلى الرغم من وجود تلك السـابقة، إلا أنهـا سيـاسـة تنتمي إلى أقصى اليـمين المتطرف.

جيـرمي إيرب: عـمـد عـدد من مـؤيدي هذه الحـرب إلى تحـويل حـجج ومـسوغـات احتلال العـراق بعد أن بات واضحـاً خلوه من أسلحة الدمـار الشامل، إلى مقولة أن الحرب هي من أجل إزالة دكتاتور متسلط ونشر الديمقراطية، والشيء المثير حول هذا التحـوّل هو أنه يمكن المحافظين الجدد من الرد على النقد الذي يوجهه وسط اليسار لهذه الحرب: وهي اتهـام الولايات المتـحـدة بالنفـاق؛ لأنهـا كـانت مـتحـالفـة مع صـدام في السـابق. ويبـدو أن رد المحـافظين الجـدد يتـفق مـع هذه النظـرة، ويرد الحجة على اليسار بالقول:"نعم، أنتم على حق في هذه القضية، وهذا هو أساس المشكلة أصلاً. ونحن بحاجـة إلى تطهيـر الأخطاء السابقـة. ونحـتاج إلى إدخال الأخلاق في السياسة الخارجية الأمريكيـة"، والآن وفي ضوء مـا ذكرته قد تكون المسألة مشوشة. ألا يدل ذلك على ارتباط المحـافظين الجـدد بأهداف اليـسـار، بـالنظر إلى وجـود هذه النزعـة الأخلاقية في خطاب كلا الطرفين؟

إحدى حجج المحافظين الجدد التي سيقت لتسويغ الحرب على العراق هي حـجـة تكتيكيـة تقـول:"اسـمعـوا! بإمكانكم أن تتـحـدثوا عن الدعم الذي قـدمتـه الولايات المتـحـدة لصـدام حسين على مـدى السنين، وبإمكانكم أن تتـحـدثوا عن استخدامه أسلحة الدمار الشامل، واستخدامه الغاز السام ضد الأكراد، وأننا كنا

نؤيده. وهذا كله صحيح، ويضفي علينا صفة النفاق. ولكن، أليس من الأفضل أن نعكس تلك السياسة ونستبدلها بسياسة أخلاقية، بدلاً من الإشارة إلى السياسيات غير الأخلاقية السالفة؟" هذه هي حجتهم.

والآن، عندما أقول بأنها حجة "تكتيكية" بمعنى أنها تدفع حجة قوية موجهة ضدهم، وهي كيف يمكن للولايات المتحدة أن تشن حرباً على صدام حسين متذرعة بحجة أنه اعتدى على جيرانه، في حين أن الولايات المتحدة قدمت له الدعم في واحد من أكبر الأعمال العدوانية التي قام بها وهي حربه ضد إيران؟ وهذه حجة يصعب الرد عليها، وأعتقد أن المحافظين الجدد لديهم ميول نحو القول:"نعم، لقد قدمت الولايات المتحدة الدعم لصدام وكان ذلك خطأً، ولكن السبيل الوحيد للتكفير عن تلك الأخطاء هو أن نبدأ بداية نظيفة ونعمل الشيء الصحيح".

(...) إلا أنني لا أعتقد أن في الدوائر العليا من هذه الحكومة من يؤمن فعلاً أن صدام حسين كان وراء الهجمات على الولايات المتحدة. بل كان هناك شعور عام بأن على الولايات المتحدة أن ترد بقوة وعنف وحزم على الهجمة التي تعرضت لها، ولأن الحاجة تدعو إلى إظهار القوة في تلك المنطقة، وفي العالم العربي عموماً. كما أشار إلى ذلك أحد الصحافيين في تحليل نشرته صحيفة نيويورك تايمز مستشهداً بما قاله أحد الضباط الأمريكيين في سامراء "كما تعلم، فإن العقل العربي لا يحترم إلا القوة"، وأعتقد أن الفكرة القائلة بأنك لن تستطيع أن تردع هجمات مستقبلية باستعراض قوتك ما لم تظهر أن لديك إرادة قوية على استخدامها. وهذه هي نقطة التقاء المحافظين الجدد بالواقعيين والعناصر الأخرى في الإدارة- أن ترد بقوة وحزم؛ وأن الهيبة والسلطة تقومان على الرد العنيف.

ولو نظرت إلى المراحل الأخيرة من حرب فيتنام، وتحديداً في عهد إدارة نيكسون، فستجد أن هنري كيسنجر كان يكثر من استخدام عبارة "المصداقية"

مراراً وتكراراً. بمعنى أنه لا يمكننا الفرار من فيتنام لأن من شأن ذلك أن يقوض مصداقية أمريكا. وأعتقد أنه كان يعني أشياء أخرى، بعضها له علاقة بالردع النووي، وبعضها الآخر له علاقة بحلفاء أمريكا في أوروبا وآسيا، وأن هذه التحالفات ستكون مهددة، إذا رأت هذه الدول أن الولايات المتحدة يمكن أن تتخلى عن التزاماتها في وجه الخطر. وقد كانت فكرة المصداقية فكرة مرفوضة بازدراء لدى تيارات اليسار والوسط. ولكن بالنسبة للمحافظين الجدد، والمحافظين في إدارة بوش، فإنهم يرون في حقبة أواخر السبعينيات دليلاً قاطعاً على أنهم كانوا على حق في هذه المسألة. وفي يدهم قائمة طويلة من الكوارث التي حلت بالسياسة الخارجية الأمريكية: سقوط الشاه، وسقوط سوموزا، وتراجع عام للولايات المتحدة من حول العالم، حروب في أنغولا، وموزمبيق، ومشاكل في جنوب القارة الإفريقية، كل هذه الأمور حدثت- من وجهة نظرهم- بسبب فرار الولايات المتحدة من جنوب شرق آسيا. وربما أضافوا إلى تلك القائمة عدداً آخر من الأحداث، ولكن ليس علناً، لأنها حدثت في عهد ريغان، منها، الانسحاب من بيروت عام 1983 إثر الهجوم على مقر قوات المارينز، ثم الفرار من الصومال عام 1993 بعد مقتل 18 جندياً أمريكياً في مقديشو. وبالنسبة لهم، كل هذه الأمور تظهر لأعداء أمريكا بأن الولايات المتحدة ليس لديها الاستعداد لتنفيذ الحرب والبقاء في الأماكن الحيوية لمصالحها.

هذه الممارسات، وهذه الأفعال الصادرة عن قادة أمريكيين خائفين وجبناء، هي التي فتحت المجال أمام التحديات التي ظهرت في التسعينيات، بما فيها احتلال صدام حسين للكويت، على سبيل المثال، والتي كرر فيها قوله بأن الولايات المتحدة ليس لديها استعداد للتضحية بعشرة آلاف جندي في أي حرب- أنظروا إلى فيتنام. وقد صرح بذلك علناً وأمام إبريل غالاسي، سفيرة الولايات المتحدة في بغداد أثناء أحد الاجتماعات. إذن، المحافظون الجدد، وغيرهم من

المحـافظين يردون على هذه الأحـداث بالقـول، "لقـد تعـرضنا للهـجـوم، والمنطق الوحـيد الذي تفهـمـه هـذه المنطقـة هو منطق القـوة، ولا تفـهـم سـوى قـوة الإرادة الأمريكية على الأرض". ويبدو أنهم مقتنعون بهذه الفكرة قناعة تامة.

ولهذا السـبب أعتقد أن كثيراً من الحجج القـائلة "لماذا تهاجمون العـراق وقد ثبت أن صـدام حسين لم يكن وراء هجـمـات 11 سـبـتـمـبـر؟" هـي حـجـج جـانبـيـة وتخطئ الهـدف، لأن الهـجـوم السـافـر الذي وقع في 11 سـبـتـمـبـر على الولايات المتحدة، ومن وجهة نظر هذه الإدارة، يتطلب من الولايات المتحدة بوصفها قوة إمبـرياليـة أن تتوجـه إلى قلب العـالم العربي، على حد تعـبيـر فؤاد عجـمـي(*). وهنـاك أعـداد كـبـيـرة داخل هذه الإدارة ومن بينهـم، على سـبـيل المثـال، دونـالد رمسـفيلد، وبغض النـظر عن وجهـة نظرهم تجاه احتمـالات نشـر الديمقـراطيـة بشكل دائم، يعتقدون حقاً أن علينا أن نتوجه إلى قلب العالم العربي لإظهار هذا النوع من الرد الحاسم والحازم على التحدي الذي شكله 11 سبتمبر.

جيرمي إيرب: ماذا تقول للأمريكان حول عيوب هذا الموقف؟ هل فلسفة هذه الإدارة – من وجهـة نظرك- معيـبة أساساً، أم أننـا نعيش في المرحلة الأولية لشيء يمكن في النهاية أن ينجح في تحقيق أمننا؟

أعتقد أن هناك انفصاماً بين الأهداف المعلنة لإدارة بوش في منطقة الشرق الأوسط، وبين التزام الإدارة بتخصيص الموارد، والموارد هنا لا تقتصر فقط على القوة العسكرية والجيش المتمركز على الأرض هناك، والأموال وغيرها، بل تشمل أيضاً رأس المال السيـاسـي، لتحقيق تلك الأهداف. ونحن نشـاهد ذلك هذه الأيام في العـراق. فهناك طموح يتسـم بالغرور لتغيير الشـرق الأوسط، وتحويل العراق إلى ديمقـراطيـة. ولكن نجـد في الـوقت نفسـه تردداً وتلكؤاً من الحكومـة تجـاه

(*) محلل سياسي لدى محطة إن بي سي، وباحث في جامعة جون هوبكنز.

الالتزام بتكاليف هذه السياسة وتخصيص الموارد اللازمة لتحقيق الهدف المعلن. ويتجلى هذا الانفصام بالمقارنة بين الهدف الذي وضعه الرئيس بوش وآخرون للعراق قبل الحرب بالالتزام الذي تبعه فيما يخص الجنود والأموال، وبترددهم في مصارحة الشعب الأمريكي بأن هذا الاحتلال يمكن أن يكون احتلالاً طويل الأمد، ورفضهم تقديم أي تقديرات لتكلفة هذا المشروع، ونفيهم أنه سيتطلب مكوث القوات الأمريكية لمدة طويلة في العراق. مع العلم أنه عندما صرح الجنرال تشيسكي -رئيس هيئة الأركان السابق- بأن هذه الحملة ستتطلب بضعة مئات ألوف من الجنود، أقيل من منصبه، وجرى إسكاته.

ويمكن القول بأن الإدارة نفسها أساءت تقدير متطلبات ذلك الهدف، وأن كثيراً من رموزها، وبعد أن حملوا على عاتقهم هذا الهدف النبيل في جلب الديمقراطية إلى الشرق الأوسط- ما زالوا يرفضون الاعتراف بالخطأ بعد أن تبين لهم قيمة فاتورة هذه الحملة. لقد أدركوا أن هذا الهدف الجميل الذي طوّروه، سيبدو أقل جمالاً لو اخلصوا في الكشف عن متطلبات تحقيقه. لذلك لم يكونوا مخلصين في توضيح كلفة هدفهم من حيث المال والأرواح والمعدات العسكرية وحجم الجيش المطلوب له. لقد أنكروا ذلك كله كي يسهل قبول الناس به.

وقد يتساءل المرء، وما الضير في ذلك؟ ألا تعمد الحكومات في كل مكان إلى التقليل من تكاليف كثير من المشاريع لتأمين موافقة الشعب عليها؟ وأعتقد أن هذا صحيح، فالحكومات تتعمد ذلك. إلا أن المشكلة في هذه السياسة هي أنهم يعانون من عجز في الدعم الشعبي لمشروع تم عرضه وتسويقه على الشعب الأمريكي باعتباره مشروعاً سهلاً، ثم أصبح صعباً. والآن، وبعد أن أدرك الشعب الأمريكي أنه أمر صعب، تراجع الدعم السياسي له بسرعة. وقد بلغ هذا الدعم أوجه عشية القبض على صدام حسين، وسوف يتلاشى مع استمرار سقوط القتلى.

إن هشاشة هذا الدعم يعود إلى أن الرئيس ومعه القيادة السياسية في هذا البلد، لم يكونوا على مستوى من الصراحة والأمانة مع الشعب الأمريكي في هذه القضية. وربما لم يكونوا أمناء مع أنفسهم، ليس فقط في تحديد ما يرغبون في تحقيقه في العراق، بل وفي الكلفة المتطلبة لذلك. وهذا هو اعتراضي الجوهري عليهم. والآن، لماذا يعد ذلك أمراً خطيراً؟ والجواب، إنه أمر خطير ليس لأنه يضعف الدعم السياسي الأمريكي في المحصلة النهائية وحسب، بل أيضاً لأنك حين تنظر إلى الذين يقاتلون الأمريكان في العراق، الأشخاص الذين يخرجون كل يوم لوضع القنابل على جانبي الطريق وينتظرون مرور قافلة أمريكية ليضغطوا زر التفجير لقتل الأمريكان، الأشخاص الذين يتربصون لقنص الأمريكان، الأشخاص الذين يستخدمون الصواريخ التي تطلق عن الكتف لإسقاط المروحيات الأمريكية، الأشخاص الذين يصنعون القنابل ويضعونها في السيارات المفخخة ليفجروا بها مباني الأمم المتحدة وأهدافاً أخرى غيرها في العراق. فما الذي يهاجمونه بالضبط؟ وما هو هدفهم من وراء ذلك كله؟

يمكن القول، وكما صرح عقيد أمريكي في بغداد، بأن هدفهم هو "الإرادة" و"العزيمة" الأمريكية. هذا هو الهدف. وهذا هو ما يحاولون القضاء عليه. وكما قال كلوزويتس إذا أردت أن تنتصر في الحرب فعليك أن تحدد مركز الجذب لدى خصمك وتدمره. وعندما سألت هذا العقيد عن مركز الجذب لدى الأمريكان من وجهة نظر المقاومة، فرد قائلاً " الإرادة الأمريكية".

وبسبب التردد في الصراحة حول كلفة ما نحاول تحقيقه في الشرق الأوسط، فإنه يصعب الدفاع عن "الإرادة" الأمريكية بوصفها هدفاً رئيساً للمقاومة. والطريقة المثلى للدفاع عن الإرادة هي أن تؤسسها على دعم شعبي سياسي. فعلى الرئيس أن يوضح للناس لماذا يعد هذا الأمر ضرورياً، ولماذا يجب أن نضحي لتحقيق هذا الهدف. وفي حدود علمي، فإن جورج بوش لم يفعل شيئاً

Obeikandi.com

من ذلك. لذلك فإن اعتراضي الأساسي هو على هذا التغاير بين ما يريدون تحقيقه، والتزامهم بمتطلبات وبتبعات تحقيق ذلك الهدف. ولا أعتبر ذلك من قبيل عدم النزاهة السياسية المعهودة. بل أرى فيه قدراً كبيراً من المخاطرة لأننا أمام حرب عصابات.

جيرمي إيرب: لو قرأت كتابات ريتشارد بيرل، على سبيل المثال، أو ويليام كريستول، فستجد أنهم في غاية الوضوح حول ضرورة قيام الولايات المتحدة بزيادة قوتها واستعراضها حول العالم، فكرة أن الولايات المتحدة يجب أن تملك القدرة والإرادة لاستخدام قوتها العسكرية متى قررت ذلك. وهذا التفكير يختلف عن نشر الديمقراطية. هل لك أنت تحدثنا حول هذا الشغف والولع بالقوة؟ فهم في منتهى الوضوح حول هذه المسألة.

باعتقادي أن ما يمكننا تسميته بالشغف بالقوة، أو الحاجة إلى استعراض القوة، هو جزء لا يتجزأ من فلسفة هذه الحكومة. ومن الواضح أن حكومة بوش الثاني قد وضعت بعض الافتراضات حول الحاجة إلى أن تري العالم كيف ترد بصرامة وعنف على أي هجوم على أراضيها. وشاهدنا هذه النزعة في الأيام الأولى التي أعقبت هجمات 11 سبتمبر. ولو اطلعنا على كتاب بوب وودورد وغيره من الوثائق التي دونت ما حدث في تلك الأيام، لوجدنا أن مسألة الهجوم على العراق أثيرت في اجتماعات القيادة العليا في حكومة بوش منذ اليوم الأول، وذلك على الرغم من عدم وجود أي دليل يشير إلى تورط العراق في تلك الهجمات في ذلك الوقت. وبالطبع حتى هذه اللحظة لا يوجد أي دليل مهما كان يربط بين العراق و11 سبتمبر. وأعتقد أن من الخطأ المحاجة بالقول بأنه لم يكن هناك صلة بين العراقيين وهجمات 11 سبتمبر، فلماذا نهاجمهم؟ وكأن الحكومة كانت تعتقد بوجود تلك الصلة. لقد استخدموا تلك الحجة علناً دون التصريح

obeikandi.com

بهـا، إلا أنهم كـانوا يعطون الانطبـاع بوجـود تلك الصلة من أجل حـشـد الدعم الشعبي للحرب على العراق، ونفذوا تلك الخدعة ببراعة.

جيـرمي إيرب: بـالنظر إلى الانتـخابات الرئاسـية المقبلة واحـتمـالات تأثيـر أحداث 11 سبـتمبر عليهـا، ذكرت أن الإرهابيـين أوهنوا قوة العـزم والإرادة لدى الأمـريكان. هل لديك الجـرأة على القـول بأن قيـام جـورج بوش باستـخدام 11 سبتمبر، واستغلاله الخوف الناتج عن ذلك الحدث، يشكل أيضاً هجوماً على الإرادة الأمريكية؟

هذا سؤال مثير. وأعتقد أن حكومة بوش كانت ناجحة على نحو فريد في الاستغلال السياسي للحرب على الإرهاب. وكانوا مؤثرين إلى درجة كبيرة في توطيد دعائمهم السياسية وتخويف الديمقراطيين، الذين يعتبرون من الناحية التقليدية غير أقوياء في قضايا الأمن القومي، على الأقل في العقود الثلاثة السالفة أو منذ حرب فيتنام، أو على الوجه الأصح منذ خسارة الصين عام 1949. وعلى المرء أن يتذكر أن جورج بوش في 10 سبتمبر كان يترقب خريفاً صعباً جداً. كان أمامه تعقيدات ومشاكل في الميزانية. فقد أحدثت التخفيضات الضريبية التي سنها مجموعة كبيرة من المشكلات في ضوء التردي الاقتصادي الذي كانت تعاني منه البلاد وإلى غير ذلك من قضايا، فجاء 11 سبتمبر ليكون نقطة تحول وانتعاش بالنسبة له. وما من شك في ذلك. هذه هي الحقيقة رغم أن قولها يبدو فظيعاً. لقد كانوا فعالين في استخدام الحرب لرفع مستوى شعبيته، وجعله في المقدمة كقائد حرب بإمكانه حماية الشعب الأمريكي. لذلك، فإن 11 سبتمبر كان نعمة بالنسبة له.

والقول بأنه استغل ذلك الحدث إلى حد إضعاف الأمريكان، هو قول فيه شطط من وجهة نظري. أعتقد أنه قام بمخاطرة كبيرة في حربه على العراق فتحت باباً من التهديدات الجديدة على الولايات المتحدة لم تكن بحاجة إلى

obeikandi.com

فتحه. لقد كانت أحداث 11 سبتمبر بداية صراع، أو على الأقل أبرزت أهمية الصراع الذي كان دائراً مع القاعدة منذ منتصف التسعينيات، وتأكد بشكل أكبر في نهاية التسعينيات. لقد دفعت تلك الأحداث بهذا الصراع إلى مقدمة ومركز السياسة الخارجية الأمريكية. وكان من نتيجتها مقتل ثلاثة آلاف أمريكي على الأرض الأمريكية. والآن، تم اتخاذ قرار داخل الحكومة الأمريكية بأخذ هذا الحدث وهذا الصراع ضد القاعدة وتحويله إلى حرب شاملة ضد الإرهاب كما تسمى، وجعله كالصراع الذي خضناه ضد الشيوعية. وتشابهت الملامح الأيديولوجية للسياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر بملامح السياسة الخارجية بعد عام 1947 ومذهب ترومان. وهناك سابقة قوية في تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية تشبه ما نشاهده اليوم: أن تأخذ حدثاً معزولاً نوعاً ما، وفي عام 1947 تمثل هذا الحدث بأعمال التمرد في تركيا واليونان، ثم تجعل منه رمزاً لصراع عالمي بين الخير والشر. لماذا تفعل ذلك؟ لأن السياسة الخارجية الأمريكية ينبغي أن تستند إلى الإرادة العامة، وهذه طريقة سهلة لفهم هذه القضايا. إنها الولايات المتحدة، الأمة الخيرة، تناضل ضد الشر.

والشيء المهم الذي ينبغي تذكره هو أنه لم يكن يتحتم علينا أن نضع هذا الصراع ضمن هذا الإطار العالمي. لم يكن من اللازم أن نقول:"إذا لم تقفوا معنا، وفي صفنا، فأنتم في صف الإرهابيين." لم يكن مثل هذا الرد ضرورياً. لقد جاء ذلك الرد عن قصد واختيار. وخصيصة هذا الرد هو أنه يضع القضية في إطار يسهل على الناس فهمه. أما سلبياته فهي، من وجهة نظري، أنه يشوّه حقيقة ما يجري، وهذا جانب مهم. وما أعنيه هو أن هذا الرد يجعل من هذا الصراع صراعاً عالمياً ضد الشر، وهو ليس كذلك. إنه صراع ضد منظمة تضم خمسة آلاف أو عشرة آلاف شخص ظهرت خلال الحرب في أفغانستان. وكان مولد ونشأة هذه المنظمة في مكان محدد، وفي زمن محدد. إنها مجموعة مرعبة.

Obeikandi.com

حسنة التدريب. كرست نفسها لتحقيق أهدافها. إلا أنها لا تمثل عالم الشر كله، وهي ليست قوة عالمية تحارب الولايات المتحدة. وسوف تتمكن الولايات المتحدة من هزيمتهم في النهاية. لا شك عندي في ذلك. وبرأيي أن خطأ حكومة بوش هو تعظيم وتهويل هذا الأمر إلى شيء أكبر مما هو عليه، واتخاذ إجراءات غير حكيمة بناءً على هذا التهويل. والحرب على العراق، في النهاية، هي حرب غير حكيمة، لأنها لم تكن ضرورية. لم تكن هناك حاجة لخوض تلك الحرب. لقد كانت حرباً لإزالة خطر لم يكن داهماً بأي مقياس. كان العراق قوة متلاشية. ولم يشكل خطراً حقيقياً على أحد. وقد شتت هذه الحرب الأنظار عن الحرب الحقيقية، وهي أفغانستان وجنوب آسيا.

لقد تعودنا هنا في الولايات المتحدة، وبالتحديد في ظل حكومة بوش أن نتحدث عن الولايات المتحدة كأقوى دولة في تاريخ العالم. فهي تملك أكبر جيش في العالم. وأقوى قوة عسكرية وجدت على وجه الأرض. والفرق بين قوة الولايات المتحدة وقوى العالم مجتمعة هو أكبر فارق في ميزان القوى منذ عهد روما القديمة. ونحن نسمع هذه العبارات مراراً وتكراراً، وأعتقد أنها محض هراء لا قيمة لها. ولا أعتقد أنها صحيحة. باعتقادي أن معيار القوة لا يقتصر على ما تمتلكه من معدات قادرة على قتل الناس، بل بما تملك من الإرادة لاستخدام هذه الأسلحة، وما إذا كان لديك الدعم الديمقراطي لاستعراض تلك القوة. وبحسب المعادلة الكلوزويتزية(*) لحساب القوة فإنك تضرب القوة الحقيقية-التقنية،عدد أفراد الجيش- بالإرادة. وهكذا تحصل على قوة الدولة. والولايات المتحدة بحسب هذه المعادلة ليست أقوى دولة في تاريخ العالم.

(*) نسبة إلى كارل فون كلوزويتز(1780 - 1831) قائد عسكري بروسي ومخطط إستراتيجي، وضح العلاقة بين الحرب والسياسة ووضع العمليات العسكرية في إطار علمي تجريدي.

obeikandl.com

إن توزيع الجيوش الأمريكية حول العالم يتجاوز طاقتها هذه الأيام. وكشفت دراسة أعدها مكتب المحاسبة العامة أنه مع حلول شهر مارس القادم فإن الولايات المتحدة ليس لديها من الجنود ما يكفي لاستبدال الجنود الموجودين في العراق. فالجيش يعمل بأكثر من طاقته. والبلاد تعاني من عجز دائم في الميزان التجاري بلغ معدلات قياسية في تاريخ العالم. واقتصادنا قائم على أسس واهية، حين يتعلق الأمر بالتجارة الخارجية ومستوى الإنتاج مقابل ما نشتريه من الخارج. لذلك فإن الفكرة القائلة بأن القوة الأمريكية هي من الوفرة بمكان بحيث يمكنها فعل ما تشاء في العالم هي فكرة غير صحيحة. ومن هذا المنطلق فإن احتلال العراق يعكس سياسية أخطأت في التقدير وحولت التركيز عن الأمور الأهم بالنسبة للولايات المتحدة في أجزاء أخرى من العالم، وبخاصة في جنوب آسيا. كما أنها مجازفة باستبدال ديمقراطية وإن كانت سيئة إلا أنها كانت على الأقل مستقرة، بنظام فاشل يمكن للقاعدة وغيرها أن تترعرع فيه، وتجند المجندين، وتستخدمه منطلقاً لهجماتها ضد الجنود الأمريكيين. لذلك فإني أعتقد أن الحرب كانت خطأً في التقدير على المستويات كافة.

جيرمي إيرب: هناك أعداد كثيرة من الناس يعتقدون بأن الانتخابات ليست هي موطن التغيير، وأن سياسات الانتخاب هي بحد ذاتها فاسدة أصلاً، وأن حكومة بوش ومن يقف وراءها، ما هم إلا نموذج مسرّع من الفساد المعتاد، ولا جديد فيما نراه منهم. وأن التغيير يجب أن يتم بأسلوب آخر ينطلق من الشارع العام، هل تعتقد بوجود أهمية معلقة على الانتخابات؟

أعتقد أن هذه الانتخابات هي أهم انتخابات ستجرى منذ نصف قرن من الزمان. وقد يقول قائل بأن هذا الادعاء مبالغ فيه، وربما كان كذلك، إلا أنه بالنسبة لي، وفيما يتعلق بالسياسية الخارجية، فإن حكومة بوش تمثل نوعاً من

Obeikandi.com

التطرف لم تشهده السياسية الخارجية الأمريكية من قبل. وحتماً ليس في عهد ما بعد الحرب العالمية الثانية. وأعتقد أنه تطرف يعرفه أعضاء حكومة بوش الأول، وقد سبق لهم أن خففوا من حدته. وأنا أقصد هنا مستشار الأمن القومي السابق برنت سكوكروفت، ووزير الخارجية السابق جيمس بيكر، وغيرهم. إن السياسة الخارجية لهذه الحكومة تختلف اختلافاً كلياً عن أي سياسية أمريكية منذ الحرب العالمية الثانية. ولهذا السبب، فإنني أعتقد أن هذه الانتخابات هي في غاية الأهمية. ومهما كان المرشح عن الحزب الديمقراطي، فإنه سيقوم حتماً بالعودة إلى سياسة خارجية أقل تطرفاً، وأكثر توافقاً في أساسها، وأكثر اعتماداً على العمل والتعاون المشترك مع حلفائنا.

إن من السخف أن نقول بأن هذه الانتخابات لن تحدث تغييراً. وبإمكان المرء أن يتحدث بإسهاب حول القضايا المحلية ذات الأهمية البالغة والتي سيتحدد مصيرها بنتائج هذه الانتخابات، إلا أن تأثيرها على صعيد السياسية الخارجية بالنسبة لي هو مسألة حياة أو موت. ودعني أقولها لك بهذه العبارة: لو فاز أي مرشح عن الحزب الديمقراطي في انتخابات عام 2004 فإنه حتماً سيواجه مهمة جسيمة في إصلاح ما أفسدته حكومة بوش. وبالتحديد سيكون عليهم مهمة إصلاح العلاقات مع حلفائنا القدامى كالفرنسيين والألمان، وإعادة إصلاح العلاقة مع حلفائنا الجدد في روسيا، وإلى حد ما مع الصين، وهي علاقات تضررت على مدى السنوات الثلاث الماضية.

أما الذين يقولون بأن هذه الانتخابات ليست بذات أهمية فما عليهم سوى الرجوع بالذاكرة إلى انتخابات عام 2000، عندما تحددت الانتخابات بفارق 547 صوتاً في فلوريدا لصالح جورج بوش ليقدم لنا سياسة خارجية تختلف حتماً عن أي سياسة خارجية للديمقراطيين بعد 11 سبتمبر. إنني أعتقد أن حكومة غور ما كانت لتفسد علاقاتنا مع أقدم وأفضل حلفائنا. وأعتقد أن حكومة غور لو

كانت في السلطة لعملت على بناء تحالف دائم كحلف الناتو وتحالف اتفاقي كتحالف كويوتو وغيرها من المعاهدات الدولية، لتوسيع شبكة العلاقات التي استفادت منها الولايات المتحدة في الخمسين سنة الماضية. وعليه، فلو أدلى 547 ناخباً في الاتجاه الآخر في فلوريدا، أو لو قام عدد مماثل في دائرة أخرى بالتصويت لكانت الولايات المتحدة في وضع يختلف اختلافاً كلياً على الصعيد الدولي عما نحن عليه اليوم. ولا أظن أن هناك أي شك في ذلك.

إنني أعتقد أن أحداث 11 سبتمبر كان بإمكانها أن تكون فاتحة لتغيير جذري في سياسة الطاقة في هذا البلد كان يصعب تحقيقه من قبل. ولكنني أعتقد أن قناعات وتوجهات نائب الرئيس السابق آل غور وسجله السياسي يشير إلى أنه كان سيأخذ هذه الأمور بالحسبان في أي رد على 11 سبتمبر. لذلك فإن انتخابات 2004 من وجهة نظري سيكون لها تأثير كبير. وأعتقد أن الأهمية المعلقة عليها هي أهمية كبيرة.

مدينة نيويورك

26 ديسمبر، 2003

✽ ✽

obeikandi.com